سينما

بداية «كارلوفي فاري 58» قاسية

أهوال ماضٍ وتفكّك حاضر

أربعة أفلام في «كارلوفي فاري الـ58» تعكس شيئاً من قسوة عيشٍ وعلاقات ورغبات، تمتدّ من ماضٍ غير بعيد كثيراً إلى راهنٍ مُصلب بقهر وانكسار

كارلوفي فاري ـ **نديم جرجوره**

بداية قاسية، كقسوة عيشٍ في زمنين يختلف أحدهما عن الآخر. قسوةٌ منبثقةٌ من تفكّك حاصل في عائلة، ومن حربٍ عالمية لا تزال حكايات فردية كثيرة فيها غيرُ مروية. بدايةٌ معقودة على عـرض صحافي لفيلمين (2024) مشاركين في مسابقة الدورة الـ58 (28 يونيو/حزيران . 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي».

في «ثلاثة أيام من الصيد» للهولندي بيتر هوخْدورن، عودة أب من منفاه الاختياري في البرتغال إلى ابنه العازب وابنته المتزوّجة، والعودة محمّلة بكمّ هائل من مشاعر يصعب البوح بها، أو ينفضّ البعض عن البوح بها وهذا أقسى. عودة تمزج بين رغبةٍ دفينة (غير مُعلنة) في اغتسال ومصالحة، ونوعٍ من قبول ضمني بمواجهة بقايا ماضٍ، بأشباحه وارتباكاته وصداماته. أمّا «إيما ورأس الموت» للتشيكية إيفيتا غروفوفا، فيستعيد لحظة تاريخية في الحرب العالمية الثانية (1939 . 1945)، في منطقة سلوفاكية تحاذي الحدود الهنغارية، وفي بيئة ريفية يعاني ناسها ثقل تعاون شباب فيها مع النازيين، وفي منزل شبه متداعٍ، تُقيم فيه ماريكا (ألكسندرا بوربلي)، أرملة هنغارية تسعى إلى خلاص من مُطاردة نازيين لها، وتنقذ طفلاً يهودياً يلجأ إليها بعد غياب والديه وشقيقه عنه بسبب المحرقة.

والقسوة، إذْ تتجلّى بلغةٍ بصرية أعمق وأخطر وأعنف من كلّ فعلٍ مباشر، تُحرّك أناساً، وتصنع حالات، وتُخضع كلّ فردٍ تقريباً أمام مرآة ذاته، فينكشف ماضياً، وتبرز خفايا، وتُصبح المواجهة امتداداً لذاك العنف المبطّن، مع أنّ في الأفق ما يُشبه خلاصاً غامضاً. والنهاية معلّقة، في لقطتين سينمائيتين بديعتين: أب يودّع ابنه أمام القطار، وطفلٌ يهودي مقتنعٌ بأنّ امرأة (تكون إيما تارة، وماريكا تارة أخرى) «تحبّ الشمس»، ورجلٌ وامرأة يظنّان أنّهما قادران على إنقاذه من موتٍ أكيد.

كأنّ القسوة، الأصيلة في أحداثٍ فردية (بحتة للغاية في «ثلاثة أيام من الصيد»، ومنفلشة على جماعةٍ في «إيما ورأس الموت»)، تُفرّغ ما في القلب والعقل والروح من كلّ شيءٍ، من دون تثبُّتٍ بأنّ المقبل كفيلٌ بترميم ذاتٍ وعلاقة (مع الذات والآخر). وإذْ تنحصر القسوة بين فردين (أب وابن)، في جهدٍ يُبذَل، وإنْ بشكل متوار، في إزالة عوائق لتواصل أعمق، فإنّ قسوة بيئة تُصيب انفعالاً وواقعاً وتاريخاً وعلاقات اجتماعية، وهذا كلّه مفتوحٌ على أهوالٍ مخبّأة في زوايا مطفأة، قبل انكشافها في لحظاتٍ متتالية، فتقول ما سيكون أصعب وأكثر هولاً وضغطاً. فماريكا، الخيّاطة التي تُصبح أرملةً بعد مقتل زوجها في الحرب، تواجه وحيدة سلطات تبغي خنقها أو امتلاكها: ضابطان، سلوفاكي ونازي، يريدانها سلعةً جسدية، مع أنّ السلوفاكيّ يظنّ أنّ فيه حبّاً لها؛ والدا زوجها يغضبان من تصرّفاتٍ تصل أصداؤها إليهما من دون معطيات حقيقية؛ محيطٌ متوتر وغاضب، وإنْ بصمتٍ، إزاء الحاصل في بلدٍ محتلّ، وشبابٌ فيه يتعاونون مع المحتلّ؛ اليهوديّ المطارد يُسبِّب مزيداً من ضغطٍ، رغم عدم معرفة كثيرين بوجوده؛ كنيسةٌ منصاعةٌ لصدامٍ آخر بين سلوفاكيين وهنغاريين ونازيين، مع ما يعني هذا من انكشاف كمّ هائل من انشقاق في العلاقات والتواصل.

نزاعٌ عائلي وحرب عالمية وتحوّل جنسيّ وارتباك علاقة

بداية كهذه، مع لاحق بها في مسابقة «بروكسيما» غير بعيدٍ عن قسوة مشابهة، وإنْ تكن المعاينة الدرامية مختلفة تماماً، باعتمادها تجريباً بصرياً أداة قولٍ منبثق من وقائع وتفكير وتأمّل؛ هذه البداية تعلن أنّ الراهن لا يزال غارقاً في تفكّك ورفض وانزواء، مع أنّ محاولات عدّة تبغي تحرّراً من هذا، لبلوغ نوعٍ من راحةٍ مطلوبة، لكنّها صعبة المنال (كي لا نُقال إن نيلها مستحيل)؛ وإنّ ماضياً أوروبياً ملعونٌ بنازيّةٍ، أفعالها الجُرمية متنوّعة الأشكال حاضرةٌ في بيئاتٍ كثيرة، وإنْ يكن اهتمام السينما بها أقلّ من ذاك المنصبّ على يهودٍ يتعرّضون لأبشع جُرم في القرن الـ20. فيلما «بروكسيما» (2024) يعتمدان مفردات وثائقية لسرد حكايتين، من دون التزامٍ صارمٍ بمعايير وثائقية. فالتجريب البصري أهمّ، خاصة في Lapilli، للسلوفاكية باولا دورينوفا، إذْ يغلب كلامٌ كثيرٌ عن علاقة فردية للمخرجة بالطبيعة والمياه وقسوة الحياة (هنا أيضاً)، فتتحوّل الكاميرا إلى عينٍ تُراقب خراباً، مع صوت راويةٍ تمزج نبرته بين واقعية مفرطة في ارتباكها وتوقها إلى منفذٍ وبحثها في أسئلة وجود وعلاقات وغدٍ، وشعريّةٍ أقرب إلى بكائية مملّة غالباً. بينما تتوضّح مسائل Trans Memoria، للسويدية فيكتوريا فيرسو: رحلة أفرادٍ يرغبون في تحوّل جنسيّ، مع ما في تلك الرحلة من أسئلةٍ ومخاوف وقناعات.

«ثلاثة أيام من الصيد»: أكون مصالحة أم يبقى تفكّكاً؟ (الموقع الإلكتروني لـ«كارلوفي فاري الـ58»)

عودةٌ إلى مهرجانٍ فاعلٍ ومُريح

ثوابت توكّد حِرفيةً ومتغيّرات قليلة غير مؤثّرة

عودةٌ إلى كارلوفي فاري بعد غياب ممتدّ منذ عام 2019. التالي على ذاك اللقاء الأخير، حينها، مرتبطٌ بانقلابات تُصيب بلداً وعالماً. انهيار اقتصادي لبناني، يُسبِّب انهياراتٍ شتّى في بلدٍ مضروب بأعطاب غير منتهيةٍ، يسبق تفشّي كورونا في العالم، ما يؤدّي إلى إلغاء كلّ نشاطٍ، في بقاعٍ مختلفة من الكرة الأرضية، أشهراً طويلة. فالمهرجانات السينمائية، التي يُفترض بدوراتها «الجديدة» عام 2020 أنْ تُقام في مواعيدها المعتادة، ملغاةٌ، والانطلاق الجديد ينتظر وقتاً. سببٌ شخصي يحول دون تمكّن من السفر، فالانهيار الاقتصادي نفسه يولّد ما يُعرف بأزمة جوازات السفر أيضاً.

العودة مُريحة. المدينة جميلة وهادئة، رغم صخب تصنعه «تحضيرات اللحظة الأخيرة»، قُبيل وقتٍ قليل على افتتاح الدورة الـ58 (28 يونيو/حزيران . 6 يوليو/تموز 2024) لمهرجانها الفاعل في المشهد السينمائي، الأوروبي تحديداً. فتجربته المولودة قبل انهيار جدار برلين (9 نوفمبر/تشرين الثاني 1989). تلتزم همّاً سينمائياً ناشئاً في دول أوروبا الشرقية أساساً، وهذا باقٍ إلى الآن، مع انفتاح أكبر وأعمق على سينمّات العالم.

العودة نفسها غير صعبة، لبساطةٍ محبَّبة في المدينة، ولدقّة تنظيم في المهرجان المُريح بدوره، ولاستقبال ودود. متغيّرات قليلة تُكتشف في اليوم الأول، كإلغاء «مكتبة الفيديو»، التي تُتيح مشاهدة أفلام لزملاء المهنة وزميلاتها، غير المتمكّنين من مشاهدتها في مواعيد عروضها، الصحافية والجماهيرية. إلغاء، غير معروف سببه (وربما غير مهمّ معرفة سببه)، يُعوَّض بإرسال رابطٍ يؤدّي الوظيفة نفسها للمكتبة الملغاة. اختبار الرابط يحتاج إلى وقتٍ، فالمُشاهدة الصحافية مُتاحة بسلاسة، والأفلام وفيرة، وصالات العرض، المحافِظة على طابعها المتواضع، مفتوحة أمام راغبين وراغبات في مشاهدةٍ في صالة، مع أنّ إحدى تلك الصالات، في فندق «تيرمال» (المقرّ الرئيسي للمهرجان، حيث يُقيم الضيوف السينمائيون أيضاً)، غير سينمائية، واسمها كفيلٌ بتأكيد ذلك: قاعة المؤتمرات.

القاعة تلك، التي تُشاهَد الأفلام فيها على شاشة قريبة جداً من الشاشة السينمائية، غير مجهّزة بالمقاعد المعروفة في الصالات. فمقاعدها كراسي منزلية، يمكن تحريكها (ولو قليلاً) بحسب ما يُريح المُشاهِد والمُشاهِدة، وعدد الزملاء والزميلات، صباحاً (عرضان يوميان لأفلام المسابقة الأساسية)، غير كثير، وهذا لافتٌ للانتباه. أو ربما هذا حاصلٌ في اليومين الأولين فقط، فلعلّ هناك من سيأتي متأخّراً أياماً قليلة. لكنّ اللافت للانتباه أيضاً كامنٌ في أنّ زملاء وزميلات، عرباً وأجانب، يدخلون تلك القاعة بعد وقتٍ على بداية العرض. أيتوافق الدخول المتأخّر مع «حِرفية» مهنية؟ كيف سيكون التعليق النقدي على فيلم، يُشاهَد بعد بدايته بنصف ساعة تقريباً، أو حتّى ربع ساعة فقط؟

الأهمّ كامنٌ في العودة مجدّداً على مدينة تُحَبّ، ومهرجان يُتيح مشاهدة هادئة وجميلة (رغم أهوال المُقدَّم في أفلامٍ عدّة)، وهذا غير مرتبط بنقدٍ، يُفترض به أنْ ينشَط قريباً. عودة تُخفِّف قليلاً من انفصالٍ غير مقصود عن مُشاهدةٍ في مدينة خانقة.

العودة أساسية فالمدينة مريحة والمهرجان مُثير للاهتمام

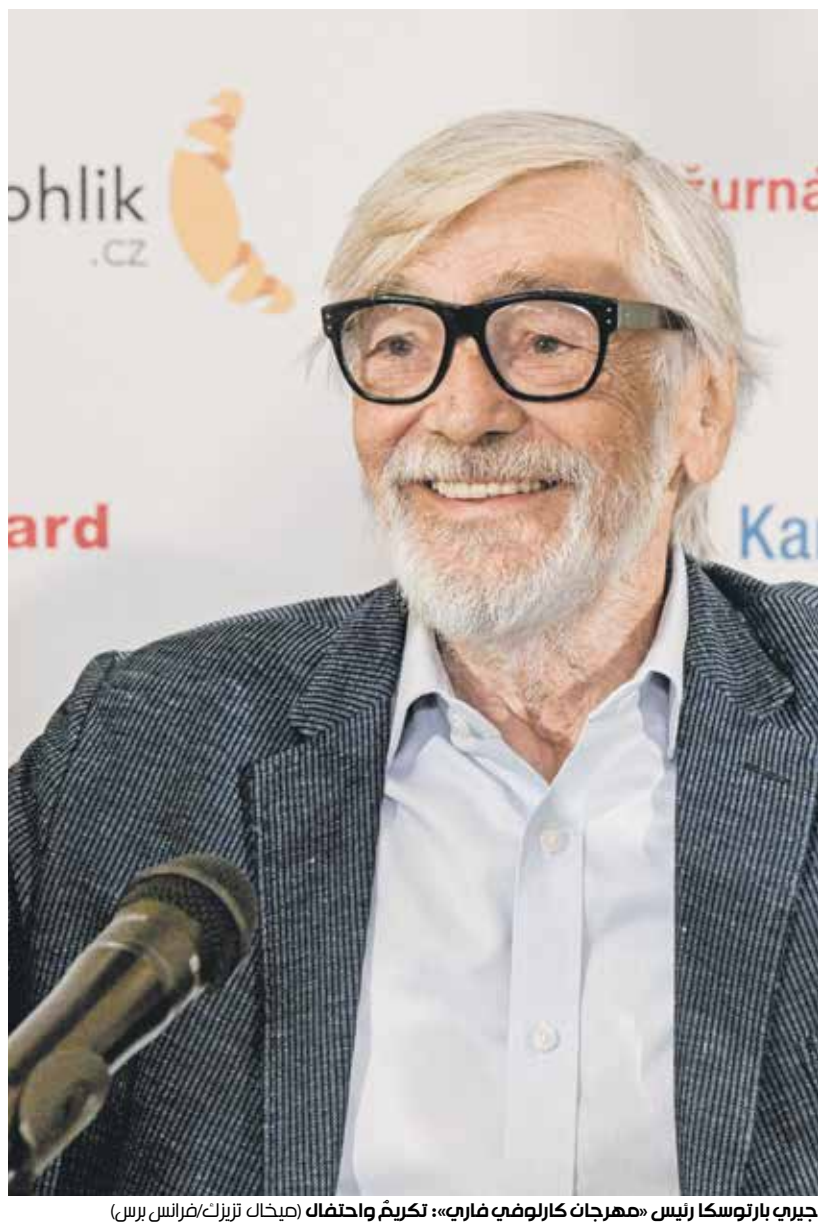
جيري بارتوسكا رئيس «مهرجان كارلوفي فاري»: تكريمٌ واحتفاء (ميخال تزيزك/فرانس برس)

ندين...

أفلام جديدة

■ Challengers للوكا غوادانينو، تمثيل زنْدايا (Getty) وجوش أوكونور ومايك فَايست: تاشي دنكان، معجزة التنس السابقة التي أصبحت مُدرّبة، لا تقدّم أعذاراً عن لعبها في الملعب وخارجه. متزوّجة من بطل يتلاشى، تخطّط لإنقاذ زوجها من انهياره، لكنّ الخطة تتخذ منعطفاً مفاجئاً، عندما يتعيّن عليها مواجهة باتريك، الحبيب السابق لصديقتها. يتصادم الماضي والحاضر، وتزداد التوتّرات، وعلى تاشي أنْ تتساءل عمّا سيكلّفها الفوز.

■ A Family Affair لريتشارد لاغْرافينيز، تمثيل نيكول كيدمان (FilmMagic) وزاك إفرون: قصة رومانسية تكون بدايتها لطيفة ومريحة. ثمّ تولّد عواقب كوميدية، لامرأة شابة ووالدتها ورئيس عملها النجم السينمائي، الذين عليهم مواجهة تعقيدات الحب والجنس والهوية، بأي وسيلة ممكنة.

■ The Uglies لـ McG، تمثيل جُوي كينغ (Getty) وكايث باورز: تستعدّ تالي للانتقال إلى فصل جديد من حياتها، فصديقتها الحميمة بيريس سبقتها في هذا، بإجرائها عملية جراحية لتكون الأجمل في مجتمعها. لكنْ، هناك عقبة، فتضطرّ إلى السفر خارج بيئتها، لعلّها تعثر على مكان أفضل.

«ورشة» في «أعمال قيد التنفيذ»: وقائع لبنانية

كارلوفي فاري ـ **العربي الجديد**

يشارك مشروع «ورشة»، فيلم رعب لبناني للمخرج نديم تابت، في قسم «أعمال قيد التنفيذ»، في الدورة الـ58 (28 يونيو/حزيران . 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي» بجمهورية التشيك، وذلك في برنامج «وعود شرقية (Eastern Promises)»، الذي يدعم الأفلام، ويسعى إلى اكتشاف مواهب واعدة من دول أوروبا الوسطى والشرقية، ودول الشرق الأوسط، وعرضها أمام موزّعين ووكلاء مبيعات ومنتجين ومبرمجي مهرجانات، يحضرون المهرجان كلّ عام. والقسم نفسه يعاين أفلاماً روائية ووثائقية، يُتوقّع أنْ تحظى بعرض أول لها بعد المهرجان، ويُمنح الواعدون بينهم جوائز تزيد قيمتها عن 100 ألف يورو، وتُختار مشاريع من تلك المُقدَّمة إليه، لإشراكها في مهرجانات مقبلة، كـ«سانْدانس» و«تورنتو» و«فينيسيا» و«روتردام» و«برلين».

أما «ورشة»، الذي شارك تابت في كتابته مع أنطوان واكد وجمال بلماحي (تمثيل زياد جلاد ومارلين نعمان ومايا داغر ومو لطوف وحسن دوبا ومحمد زرزور)، فيروي حكاية طارق، شاب سوري هارب من بلده، يعثر على عملٍ في موقع بناء في غابة، قرب قرية لبنانية. يكتشف معاداة السكان المحليين للعمّال، بسبب ذكريات الوصاية السورية، خاصة في تسعينيات القرن الـ20. ومع تقدّم أعمال البناء، تقع أحداث غريبة، ويشتبه العمّال السوريون بقيام قرويّين بأعمال تخريبية، ما يفاقم حالة التوتر.

يُذكر أنّ إنتاج «ورشة» مشتركٌ بين جورج شقير وأنطوان واكد وإيلي الصعيبي وأرنو دوميرك، وأنّ MAD World ستوزّعه في العالم، و MAD Distribution في العالم العربي. ونديم تابت مخرج لبناني، له أفلام قصيرة عدّة. عام 2001، شارك في تأسيس «مهرجان الفيلم اللبناني»، وعمل مبرمجاً سينمائياً في مهرجانات أوروبية عدّة. أول فيلم طويل له بعنوان «يوم ببيروت» («العربي الجديد»، 9 إبريل/نيسان 2018)، يُقدَّم فيه يوماً كاملاً من سيرة مدينة، عبر حكايات أفراد مقيمين فيها. لكنّ اختزالاً كهذا لن يفي الفيلم حقّه. فالتقديم والسيرة والحكايات والأفراد والإقامة في مدينة تضجّ بهذا كلّه، تعابير تحتاج إلى تنقيب في معانيها المتعددة في 91 دقيقة مُكثّفة ومتماسكة في بناءٍ سلس وهادئ، يتضمّن شيئاً من غليان ومتاهة وتعبٍ واشتباكاتٍ، صامتة غالباً.